العنوان:	العوامل التي أسهمت في فكر ابن حزم
المصدر:	دراسات أدبية
الناشر:	مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية
المؤلف الرئيسي:	صابة، فاطمة الزهراء
مؤلفين آخرين:	كروم، بومدين(م. مشارك)
المجلد/العدد:	ع19
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الشهر:	ماي
الصفحات:	35 - 41
رقم MD:	923118
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الفكر الإسلامي، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، ت. 456 هـ، الحضارة الإسلامية، الأندلس
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/923118

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

صابة، فاطمة الزهراء، و كروم، بومدين. (2016). العوامل التي أسهمت في فكر ابن حزم.دراسات أدبية، ع19 ، 35 - 41. مسترجع من http://:search.mandumah.com/Record/923118

إسلوب MLA

صابة، فاطمة الزهراء، و بومدين كروم. "العوامل التي أسهمت في فكر ابن حزم."دراسات أدبيةع19 (2016): 35 - 41. مسترجع من http://:search.mandumah.com/Record/923118

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

العوامل التي أسهمت في فكر ابن حزم

صابة فاطمة الزهراء

تحت اشراف أ/ د: كرّوم بومدين

كلية الآداب واللغات/جامعة تلمسان

لا سبيل إلى فهم مفكر وفقيه وأديب كابن حزم إلا باكتشاف العلاقة بين أفكاره ومجتمعه، فالأديب والمفكر على الأخص إنما تكون أفكاره خلاصة ذلك التفاعل بينه وبين المجتمع.

ولا شك في أن للأوضاع الاجتماعية التي واكبها ابن حزم على أرض الأندلس أثراً بالغاً في تكوين تفكيره، ومُجمل ما صدر عن قلمه من منثور ومنظوم.

فقد كان لهذه البيئة الأندلسية تأثير في نزعة ابن حزم الأخلاقية خصوصا أنه نشأ في بيئة تميزت بالصراعات الداخلية والأطماع الأجنبية، ومما لا شك فيه أن عالما ومفكرا كابن حزم لا يمكن أن يقف مكتوف اليدين أمام الخطر الذي يهدد كيان الدولة الإسلامية في الأندلس فهو يسخر كل وسيلة للمحافظة على بقائها وازدهارها؛ ولا يكون هذا إلا بالمحافظة على الأخلاق؛ ويأتي الشعر في مقدمة الفنون الأدبية التي يجب أن تنهض برسالة التربية والتكوين الأخلاقي (1).

وعليه نجد نظرة ابن حزم إلى الشعر جزءا من موقفه الديني إلى الحياة والكون وجزءاً من منهجه التربوي العام.

وقد كان للفتنة التي سادت قرطبة بوجه خاص أثر سيء في الإبداع الفني والعلمي وخصوصا عندما انقلبت الثورة إلى حرب أهلية [2]. اضطرت أبا محمد بن حزم إلى الانسحاب إلى مكان بعيد، بغية التفرغ للعبادة والتأليف [3].

يقول آسين بلاثيوس: "إن ابن حزم قد عاين من ألوان الظلم ما أنضب معين الرقة واللين في نفسه، وشاهد من مساءات الفوضى السياسية التي ضربت على الأندلس بجرانها في أيامه ما نفر نفسه، وأوذي في نفسه وكرامته بما لقي من الاضطهاد ورأى الناس أجمعين ينكرون قدره ويتجهمون له ويقاطعون مذهبه الديني ويحرمونه، فاستقر رأيه على أن يعتزل الدنيا والناس وينزوي في موطن أسرته منت لشم، وهي بليدة على مقربة من ولبة ربما كانت قرية casa motija "كازامونتيجا" الحالية- وذلك بعد أن صادر المعتمد بن عباد كتبه وأحرقها- وفي هذا المعتزل كتب كتابه "الأخلاق والسير في مداواة النفوس"، وهو أشبه باعترافات تفيض بالتشاؤم العميق. [4]

إذا فلقد قدر لابن حزم أن "يشهد غروب شمس الخلافة، وأن يشهد مع غروبها ألواناً من الانهيار السياسي والخلقي، ومن المظالم والجور ما لا مثيل له" [5]

فقد رأى القيم التي عاش لها وعليها تتهاوى واحدة وراء الأخرى؛ فضاق بالدنيا بعدما ضاق بالناس، وخبر الحياة بكل ما فيها، وانكفأ على ذاته؛ وهذا لا يكون من ابن حزم إلا بعد شعوره بما هو عليه مجتمعه من التردي والفساد والانحلال من القيم والسقوط في مهاوي الخمر والرذيلة بأنواعها.. [6]

فقد حاول ابن حزم أن يضع أصابعه على موطن الداء كما فعل ذلك ابن حيان وغيرهما من الذين ظهروا في أندلس القرن الخامس؛ والتعرف إلى الأسباب الباطنة الخفية التي أدت إلى الانهيار المفاجئ المذهل لذلك البناء العتيد الذي كان يبدو منذ سنوات قليلة نموذجا للحكم الصالح والدولة المستنيرة. [7]

ويضمن ابن حزم كتابه" الأخلاق والسير في مداواة النفوس "أعظم قيمة أخلاقية حين يقدم لنا صورة حقيقية حية لنفسية مسلمي الأندلس في القرن الحادي عشر وقواعد الأخلاق التي كانت مرعية في مجتمعهم [8]

ويشير الشيخ محمد أبو زهرة إلى هذا الأمر، فيقول:" وإنا لا نجد عالما كان واضح المجاوبة بينه وبين عصره كابن حزم، فكتاباته الفلسفية الخلقية وتحليله للنفوس، وكتابه مداواة النفوس، كل هذه الكتب أو الرسائل هي مجاوبات فكرية بينه وبين روح الاجتماع في ذلك العصر، وروح السياسة والعلم فيه." [9]

والجدير بالذكر هنا أن التفسخ الخلقي الذي أصاب بعض جوانب المجتمع الأندلسي وظهرت علاماته الأولى في عهد المنصور بن أبي عامر، لم يؤثر في ذلك الجو الثقافي الرائع الذي أوجده المسلمون في آفاق تلك البلاد؛ وقد عاش ابن حزم في أجوائه في بيئة علمية تلاقت فيها الأفكار الشرقية والغربية في رحاب بلاد الأندلس.

فلقد عني بنو أمية في الأندلس بنقل العلم والمعرفة؛ إذ لم يمض على إقامتهم هناك ثلاثة أرباع قرن من الزمان حتى نشأت أجيال من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء وأصبحت الأندلس بهم قدوة ومثلا يحتذى؛ حتى ظن أن جماهير تلك البلاد قصرت جهودها على العلم والتعلم. [10]

يقول المقري في ذلك:" ...ومن محاسنها(قرطبة) ظرف اللباس، والتظاهر بالدين والمواظبة على الصلاة، وتعظيم أهلها لجامعها الأعظم وكسر أواني الخمر حيثما تقع عين أحد من أهلها عليها، والتستر بأنواع المنكرات، والتفاخر بأصالة البيت وبالجندية وبالعلم. وهي أكثر بلاد الأندلس كتبا، وأهلها أشد الناس اعتناء بخزائن الكتب، وصار ذلك عندهم من آلات التعين والرئاسة، حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة، يحتفل

في أن تكون في بيته خزانة الكتب، ليس إلا لأن يقال: فلان عنده خزانة كتب." [11]

وقد خصص ابن حزم رسالته: "فضل علماء الأندلس" للكلام على البيئة العلمية في عصره وبين فيها مدى إسهام الأندلس ورجالها في بناء الحضارة الإسلامية بها، وقال عن قرطبة:" ...فكان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات وحفظ كثير من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم، بمكان رحب الفناء واسع العطن، متنائي الأقطار، فسيح المجال". [12]

وقد أخبرنا أيضا عن العلوم المتبعة في عصره فقال: "أما الاشتغال برواية القراء المشهورين السبعة وقراءة الحديث وطلب علم النحو واللغة فإن طلب هذه العلوم فرض واجب على المسلمين كافة وأما النحو واللغة ففرض على الكافة وأن طلب العلم إجمالا أن يكون لوجه الله"[13]

ومن هنا يمكن القول إن هذه البيئة الأندلسية بأوضاعها السياسية والاجتماعية قد تركت أثرين في فكر ابن حزم؛ أولهما: أثر إيجابي في كونها كانت بيئة علمية ساعد جوها في صقل علمه ومعرفته.

والأثر السلبي هو أن القيم التي عاش عليها سرعان ما تهاوت مع حلول الصراعات الداخلية والفتن، فولد ذلك عنده نزعة أخلاقية وجد فيها الخلاص الوحيد من الخطر الذي هدد المجتمع الأندلسي في دينه وأخلاقياته.

ولقد لاحظ ابن حزم في عصره وبيئته الأندلسية؛ أن الانحلال الذي تعرضت له الدولة الأموية ولم يقو أحد على صده، إنما نشأ- كما رآه- عن تفسخ أخلاقي مروع وضلال فكري بائن، ثم عن تلك النظرات المستحدثة والتأويلات المغرضة للقرآن والحديث. [14]

وباختصار فقد رأى ابن حزم أن السبب في اعوجاج قاعدة المجتمع الأندلسي تكمن في الإيمان الإسلامي الذي أصابه الضعف والشريعة الإسلامية التي اضطربت فيها التأويلات والآراء الشخصية والقياسات اللامنطقية، وحلت الفوضى الشرعية محل النظام.. [15]

وجلي أمام هذه الظروف أن يصرف ابن حزم همه واهتمامه إلى الفقه وأصوله لينفذ منه إلى إصلاح الوضع السياسي الذي تخلخل في زمنه، وأصبح مخالفا للأحكام الشرعية وبهذا، يؤدي في الوقت نفسه أعظم رسالة وأغلى أمانة. وعن هذا الإيمان صدر فيما كتب وألف: "وإذ قد تيقنا أن الدنيا ليست دار قرار، ولكنها دار ابتلاء واختبار ومجاز إلى دار الخلود، وصح بذلك أنه لا فائدة في الدنيا والكون فيها إلا العلم بما أمر به عز وجل وتعليمه أهل الجهل، والعمل بموجب ذلك، وأنه ما عدا هذا مما يتنافس فيه الناس من بعد الصوت غرور، وأن كل ما تشره إليه النفوس الجاهلة من غرض خسيس خطأ، إلا ما قصد به إلى إظهار العدل، وقمع الزور، والحكم بأمر الله تعالى وبأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وإحياء سنن الحق، وإماتة طوالع الجور، وأن ما تميل إليه

النفوس الخسيسة من اللذات بمناظر مألوفة، متغيرة عما قليل، وأصوات مستحسنة، منقضية بهبوب الرياح ومشام مستطرفة، منحلة بعيد ساعات، ومذاوق مستعذبة مستحيلة في أقرب مدة، أقبح استحالة، وملابس عجيبة، متبدلة في أيسر زمان تبدلا موحشا، باطل.

وأن كل ما يشتغل به هل الفساد التمييز من كسب المال المنتقل عما قريب، فضول إلا ما أقام القوت وأمسك الرمق وأنفق في وجوهه الموصلة إلى الفوز في دار البقاء — كان أفضل ما عاناه المرء العاقل، بيان ما يرجو به هدى أهل نوعه وإنقاذهم من حيرة الشك وظلمة الباطل، وإخراجهم إلى بيان الحق ونور اليقين..." (16)

لهذا إذا اختار ابن حزم الدراسة الفقهية في أول منزلة، ثم آثر مذهب الظاهريين.

وقد كانت ثقافته الدينية الإسلامية ونزعته الاعتقادية من المؤثرات التي أثرت في نظرته إلى الشعر وهي تتقدم غيرها في هذا إذ إنه كان "يصدر عن فقه ظاهري تزعمه ودعم أركانه، بمعنى أنه تشرب أصول العقيدة الإسلامية فاتخذها منهجا وسلوكا." (17)

فهو لا يحيد عن المقياس الخلقي الذي رسخ بالبيان الإلهي في مثل قوله تعالى﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ۞ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون؛ وأنهم يقولون ما لا يفعلون ۞ إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات﴾ (18)

وعزز أيضا بالتوجيه النبوي" إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحرا." (19)

ولذلك نجده يعلل في أحكامه على الغزل وشعر التصعلك والهجاء بتذييله الخسارة الأخروية ومعصية الله وحلول الدمار في الدنيا والآخرة. (20)

فقد اتخذ ابن حزم الظاهرية مذهبا حكم به حياته وسلوكه وفقهه وعقيدته وحتى غزله. (21) حيث دعا إلى التمسك بالكتاب والسنة واستمداد الأحكام منهما.(22)

فكان الدين العامل الرئيس في توجيه ملكاته وذكائه، وبه استطاع أن يقول إن علم الشريعة أفضل العلوم وأجلها، وبسببها يظهر ناقدا أديبا جائرا في أحكامه على الشعر وأغراضه.

كما تأثر ابن حزم أيضا بالفلسفة اليونانية؛ ففي الفكر الإغريقي، نجد أن غاية الأخلاق لدى السفسطائيين تنحصر في تحقيق اللذة الفردية لكل إنسان، أما سقراط فقد جعل هذه الغاية هي السعادة، ولكي نصل إلى السعادة لابد أن نمارس الفضيلة التي تنتج عن المعرفة، أي أنه لكي يكون الانسان فاضلا لابد أن يكون عالما. ولا شك في أن هذا المفهوم يقصر الفضيلة وبالتالي السعادة، على قلة قليلة من المجتمع (23)

وكذلك أقر أفلاطون أن غاية الحياة الأخلاقية هي السعادة لكنه قرن هذه الأخيرة بالعدالة أي

الاعتدال في الأمور، ولا يتحقق الخير الأسمى للإنسان إلا إذا أدرك علم المثل، الذي يعتبر عالم الأرض نسخة مشوهة منه. [24]

وأما أرسطو الذي كتب مؤلفا مستقلا في الأخلاق، فقد جعل الخير الأسمى هو غاية الأخلاق ومفهومه أنه الخير الذي يطلبه الناس جميعا لذاته، ولا يرجون من ورائه شيئا آخر، وقد حدده أيضا بأنه السعادة، والسعادة عنده تتحقق بالتأمل العقلي. [25]

وقد طبق هؤلاء الفلاسفة نظرياتهم أيضا على الأدب بعامة والشعر بخاصة فالنقاد الأخلاقيون منذ أفلاطون وربما قبله نظروا إلى الفن بعامة والأدب بخاصة نظرة مفادها أنه قد يفسد الأذواق ويحطم القيم إذا ما هو خرج عن محوره الطبيعي ويكون أداة تخريب في بنية المجتمع الصالح وذلك لأنه يؤثر بشكل كبير في النفس الانسانية وبالتالي سيكون مسؤولا ضمنيا ع انحطاط الحضارة وانهيارها. [26]

وذهب أرسطو طاليس "إلى أن المأساة والملهاة ينقيان النفس عن طريق التطهير وبذلك يعملان بعمق في تكييف الذات وتوجيهها. [27]

كما اعتبر أفلاطون أن الشعر الذي يدور حول التبذل يفسد الذوق وبالتالي يكون مفسدة للمجتمع.

إن تأثر ابن حزم بالمبادئ الفلسفية الأخلاقية عند أفلاطون وأرسطو باد في رسالة الأخلاق التي " اعتمد في دراستها على المقررات العلمية في الأخلاق التي كانت موروثة عن اليونان وترجمت فيما ترجم إلى العربية. [28]

كما اعتمد في بعضها في بناء المقياس الخلقي على الفضيلة والرذيلة، على الضابط الذي وضعه أرسطو، وهو أن الفضيلة وسط بين رذيلتين، فنرى ابن حزم يصرح بذلك في عبارة دقيقة [29] فيقول:" الفضلة وسيطة بين الافراط والتفريط، فكلا الطرفين مذموم، والفضيلة بينهما محمودة، حاشا العقل فإنه لا إفراط فيه." [30]

كما أننا نلمح تأثره بأفلاطون في حديثه عن الفضائل الأربع – وإن اختلف عنه في بعضها – فيقول ابن حزم:" أصول الفضائل[كلها] أربعة، عنها تتركب كل فضيلة وهي العدل والفهم والنجدة والجود، وأصول الرذائل كلها أربع عنها تركب كل رذيلة، وهي أضداد التي ذكرنا وهي الجور والجهل والجبن والشح." [31]

فنجد ابن حزم قد اقترب من أفلاطون حينما جعل الشعر في خدمة الخير والشر وتحقيق الفضيلة بوسطة الخطاب الشعري؛ وقد خالف ابن حزم أفلاطون برفضه شعر الحرب الذي عده إثارة للفتن، مخالفا بذلك أفلاطون في قبوله للشعراء الذين يمدحون البطولة بعد أن طردهم باسم المبادئ العامة. [32]

وكذلك فإن ابن حزم في طوق الحمامة قد "ربط الحب في رسالته بالنظرة الأفلاطونية، أو قل: وثق العلاقة بينه وبين الأخلاق، ولم يكن جاريا في هذا على طبيعته المتدينة فحسب بل كان أيضا يصور تيارا قويا في شعر

الحب الأندلسي وجد قبل أن يكتب طوق الحمامة، إذ كانت علاقة الشعر بالأخلاق قد أخذت تتحدد لا على نحو رومنطيقي أعرابي كما حدث في نسيب المشارقة إبان العصر الأموي بل على نحو من الإيمان بالعفاف عند المقدرة وأنه سمة أخلاقية ملازمة للفتوة نفسها تلك الفتوة النابعة أيضا من النظرة الدينية" (33)

فنجد ابن حزم قد كان "أقرب إلى المصلح ذي النزعة الأفلاطونية، الذي يتحدث عن الفرد الصالح في المجتمع؛ ولعله يكون قد تأثر بمسكويه أو أفلاطون مباشرة فطرد أكثر ضروب الشعر من منهجه التعليمي"(34)

وسواء أكان تأثر ابن حزم بهذه الأفكار بطريقة مباشرة باطلاعه مباشرة على جمهورية أفلاطون وكتاب الخطابة لأرسطو، أم كان تأثره بها بواسطة مسكويه واطلاعه على كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر وكتاب عيار الشعر لابن طباطبا فإنه اعتمد هذه الفضائل الأخلاقية في نظرته للشعر وقد أبعد أكثر ضروب الشعر من منهجه التعليمي كما فعل أفلاطون بإبعاد شعر المسرح والشعر التمثيلي من جمهوريته، وعمل أفلاطون على تنشئة جيل صالح، وهو ما فعله ابن حزم في إصلاح الفرد والمجتمع. وهذا دليل كاف على تأثر ابن حزم بالفلسفة الأفلاطونية بخاصة واليونانية بعامة. (35)

هوامش الدراسة:

1 – ينظر الشعر بين الفن والأخلاق في النقد العربي القديم، مولود مغورة، رسالة ماجستير في النقد القديم، إشراف د.عبد القادر هني، السنة الجامعية 1994م/1995م:79.

2 – ينظر ابن حزم الظاهر، فاروق عبد المعطي: 13.

3 – ينظر النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس (مضامينه وأشكاله)، علي بن محمد / 1: 89.

4 – تاريخ الفكر الأندلسي، آنجل جنثالث بالنثيا:216.

5 – دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، الطاهر أحمد مكي:103.

6 – ينظر حول الأدب الأندلسي، قيصر مصطفى:93.

7 – ينظر المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ابن حيان القرطبي:113.

8 – ينظر تاريخ الفكر الأندلسي، آنجل جنثالث بالنثيا:218.

9 – ابن حزم (حياته وعصره–آراءه وفقهه)، محمد أبو زهرة:79.

10– مقال بعنوان: "مصادر ابن حزم الأندلسي ومؤلفاته"، محمد هشام النعسان، www.landcivi.com (2007/08/09)

11– نفح الطيب، المقري / 4: 113–114.

12– رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس / 2: 174–175.

13- مقال بعنوان: "مصادر ابن حزم الأندلسي ومؤلفاته"، محمد هشام النعسان، www.landcivi.com(2007/08/09)

14- ينظر ابن حزم رائد الفكر العلمي، عبد اللطيف شرارة:65.

15- المرجع نفسه:66

16- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي الظاهري /1 :06-07.

17- تيارات النقد الأدبي في الأندلس، مصطفى عليان عبد الرحيم:334.

18- سورة الشعراء، الآيات: 224-226.

19- صحيح البخاري:1261.

20- تيارات النقد الأدبي في الأندلس:334.

21- ينظر نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي، سعيد الأفغاني :33.

22- ينظر ان هانئ الأندلسي (عصره وبيئته وحياته وشعره)، أحمد حسن بسج:25.

23- La philosophie grecque, charls, warner :42-54

24- المرجع نفسه:82.

25- نفسه:12-147.

26- ينظر محاضرات ومناقشات الملتقى التاسع للفكر الاسلامي، المقال بعنوان" هل كان الشعر في الأندلس سببا في انحلال أخلاقها ثم سقوطها؟" إحسان عباس، منشورات وزارة الشؤون الدينية، تلمسان، 1395هـ -1975م / مجلد 2: 627-628.

27- نفسه:628.

28- ابن حزم، (حياته وعصره- آراءه وفقهه)، أبو زهرة:139.

29- المرج نفسه:139.

30- رسال ابن حزم الأندلسي/ 1 :401.

31- المصدر نفسه / 1: 379.

32- ينظر النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال:38.

33- تاريخ الأدب الأندلسي- عصر الطوائف والمرابطين -، إحسان عباس، (طبعة عمان):127.

34- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس:488.

35- ينظر رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في النقد العربي القديم، إعداد مولود بغورة، إشراف د. عبد القادر هني، الموسومة بـ:" الشعر بين الفن والأخلاق في النقد العربي القديم حتى نهاية القرن 5 هـ"، 1994-1995م،79.